

## صَفَرَاتُ اِهْتِمَاعِيَّةٍ

في آداب السلوك :

### بين الحقوق والواجبات

لو أن كل أحد يدرك الواجب فيؤديه على وجهه ويعرف الحق فيتركه لصاحبه لذهبت مساوئ الحياة وصفت مشاربها ، ولكن الناس كالنلباء النافرة ، لا يستمع بحاسنها إلا حيث تكون في تناول الأبصار ، وهي لا تكون في تناول الأبصار إذا بقيت من نفاها طليقة تفعل ما تشاء وتذهب كيف تشاء .

وقد تتعين الحقوق والواجبات بتشريعات تضبطها وتقيم معالمها فيرجى حينئذ أن تستقيم على الطريق السديدة والنهج الواضح ، ولكن القانون لا يصب طاعته في القلوب ، ولا يطبع النفوس من قرب على هذه الطاعة ، فان وراءه شيئا آخر هو الذي ينشئ الطباع ويوجه الى الطاعات ، وهذا الشيء الآخر هو التربية .

وليس العلم من التربية في شيء ، ولكمه وإياها يجتمعان ويفترقان ، وهو جدير أن يكون هكذا حين يكون علما خشنا غليظا تستوعبه العقول ولا تستوعبه الأرواح ، فاذا رأيت من صاحب العلم الغزير طغيانا على الحق ونكولا عن الواجب فلا نظم العلم بقسوة الحكم عليه وسوء الرأي فيه ، ولكن أئدب في مثل هذا الصاحب هداية الخلق الشارد والتربية النائمة .

وإنك لتجد في طريقك من دلائل هذه الحقيقة مالا يحصى ، فانت تقبل على الترام أو الأومونو بيس اركبه فاذا ذراعان تمتدان من حيث لا تعلم فتدفعانك يمينا وشمالا حتى إذا تبينت الأمر وجدتهما ذراعى آدمى وجيه الثوب عريض القفا يريد أن يسبتك الى ما أت مقبل عليه وقد كان لولا فقره الى أدب السلوك جديرا أن يرعى هذا الأدب الواجب ويرعى حقك فيه .

وإماطة الأذى عن الطريق عبادة في رأى الدين لها ثوابها عند الله ، وهي أهل لأن تكون فضيلة في نظر العقل السليم والعرف المحمود ، ولكنها أصبحت فيما يشبه الإجماع وظيفة تؤديها مصاحبة التنظيم بهذه المكائس التي تضعضع في أيدي الكاسين ، غير أنه إذا كان هؤلاء الكاسون قد ذهبوا بالثواب المنتظر والفضيلة المطلوبة يستمتعون بهما وحدهم فلا

أقل من أن يكف الآخرون أنواهم وأيديهم وأنوفهم أيضا عن تقدير الطريق بما يلتونه عليها وهم قاصدون أو غافلون ، فإن أسر ما في ذلك من الخير أن يكف بعضهم عن بعض أذى الأوساخ والنشلات التي تنشرها الأيدي هنا وهناك ، وأن لا يعرض بعضهم بعضا للعدوى بما في سوائل الأنوف والأفواه من المكروبات والجراثيم .

وفي الأمكنة العامة كالحدائق والأندية وما إليها تتضاعف البلوى كلما غفل الناس عما يجب لهذه الأمكنة من آداب وحقوق ، فالحدائق هي الملاذ المرجو لمن تضيق صدورهم بضجة المدينة وعكر الجو في أرجائها ، ففى الحدائق نظفر الأبصار بما أميخ الله على كونه من جمال وحسن ، وفيها تسترد الأعصاب سكينتها الشاردة ، وتأنس العقول إلى راحتها المكدودة ، وتستجمع الأرواح صفاءها المبدد ، وهي مع ذلك بهجة الأطفال وقرة عين النساء والرجال ، ولكن أكثر الناس ييحدون نعمتها فلا يرعون حقها ، ويقسرون عليها فلا يمنعون عنها أذاهم ، فهناك حيثما دخلت حديقة من هذه الحدائق أوشكت أن تسمع شكوى الأقطار وبكاء الأزهار ، ونحيب الماء وعويل الهواء ، بغيعة وألما يصيبها من تكدير وتحطيم ، وهم عظيم .

وفي بعض الأغنياء عناد لقدرة الله في كل من عجزوا عن أن يكونوا أغنياء مثلهم ، وأظهر ما يكون هذا العناد إذا كان هؤلاء الأغنياء في مبة الصبا ونضرة الشباب ، فإذا اجتمع لهم الفراغ مع الشباب راحوا يطلون على مواهم من طاق مفتوح في السماء ، ثم لا يرضيهم منه إلا أن يشد أهداب عينه إلى أرجل الكراسى التي تحملهم بين الملا الأعلى إذا شاء أن يرام ليتقى الصواعق والرجوم ، هؤلاء هم الطائشون المقامرون الذين يطربون فوق أرض الله بسيارات يسوقونها سوق الريح ، ويكون على من يريد الحياة أن يئلى الطريق أمامهم قبل أن يعلم أنهم مقبلون مع البرق ، فان تركوه بالصدمة الماطفة عجينة من لحم وعظم ودم فهو الخطفى وهم المصيبون ، لأنه هو الماشى على رجله وهم الراكبون الطائرون ! .

ما حيلة القانون ورجاله في هؤلاء كلما مروا كغمضة العين أو هبة الريح فلم يتركوا شيئا يدل عليهم غير ضحكات المجنون القاتل من مصرع فريسته وراء ظهره ؟ أيست الحيلة هنا حيلة القانون ورجاله ، بل ليست حيلة أى شئ آخر غير الواجب بوقظ الحس الإنسانى في النفوس ، وغير الحق يملا جلاله القلوب رهبة وخشوعا .

وقد انتهينا من التجربة إلى أن الحق عند أكثرين منا لا يزال مقعدا أملا ، فهو لا يجد بدا يدفع بها عن نفسه ولا رجلا يمشى بها إلى غايته ، فلا بد للحق من عكاز يتممه وعجلة يكثر بها ، وإلا فالناس عنه لاهون أو به لاعبون .

ثم اتينا من الامتحان إلى أن الواجب عند هؤلاء الأكثرين لا يزال أعمى أصم ، فلا حين تهديه الطريق ولا أذن تنقل إلى إدراكه ما لا بد أن يسمعه .

والذي نريد أن نقوله إن الحق والواجب كليهما يقوم في النفوس عند التقدير على هذه الصورة ، وما داما كذلك فبعيد أن يلتفت اليهما إلا الأقلون ، أليس في الإلنفات إلى المقعد الأكتع أو إلى الأصم الأعمى مشقة الرثاء له والعطف عليه ؟

إليك مثلا أصناف الأغذية التي تعرض في الأسواق والحوانيت ؟ والتي يطوف بها الباعة في الطرق والشوارع ، فهلا ترى أن الواجب وحده قادر حينما تراعى حرمة على أن يصرون هذه الأغذية مما يلوئها به الهواء وانتراب ووخ الأيدي وقذر الملابس ؟ ولكن الجزار لا يدرك هذا الواجب من نفسه فهو لا يفعل ، والبقال لا يفعل وإن أدركه ، ويبيع اللبن لا يكاد يسمع خبره حتى يخال للفرار منه بألف حيلة ، وهكذا يتارد التماس وبعم الحكم ، حتى بعد أن وضعت القوانين واللوائح لئلا يجرؤ هؤلاء وأمثالهم على معرفة الواجب وتناديته أصبحت عين المراقبة والتفقيذ أطول نوما عنه ممن كان تفريطهم فيه سبب اللوائح والقوانين .

ونخشى إذا شئنا أن نستقصى من شؤون الاجتماع العام كل ما يفسده التفريط وتعم اضراره باهماله والاستخفاف به أن نطيل في أمور يكفى فيها القارئ بالمثال أو المثالين ليتذكر بهما ما سكتنا عنه ليقيس عليهما ما لم نطل بيانه .

إن الحياة في القرية الصغيرة والبلد الكبير والمدينة المستفيضة العدمان شركة بين أهلها فكما يكون من الأمانة أن يحفظ الشريك في أى شيء لشركائه الباقين حقوق المصلحة المشتركة وآداب المعاملة المتبادلة كذلك من الأمانة أن يحفظ شريك الإقامة في الوطن الأصغر أو الوطن الأكبر لإخوانه المواطنين جميعا مثل هذه الحقوق والآداب :